التناص القرآني في دعاء الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

المدرس المساعد حيدر عبد الكاظم أحمد الدباغ
المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف

The Quranic intertextuality in AL-imam AL-mehdi Dua`a

Hayder Abdulkadhim Ahmed
The General Directorate of Education in Najaf AL- Ashraf
haidaraldabaagh@gmail.com

ملخص البحث:

أثناء مسيرته الثقافية يحصل المبدع على كمّ هائل من المفردات مكونة لديه حصيلة لغوية وثقافية يستفيد منها في كتابة نص معيّن ، وبما لأنّ اللغة تمثل المشترك العام بين أفرادها لذا سيكون هناك تداخل في نصوص أفرادها وهنا يحصل التناص ، فنجد إنّ الإمام (عجل الله فرجه) استدعى النص القرآني في كثير من أدعيته ، فجاء البحث لتبيان مقدار ما تناصّ الإمام مع القرآن الكريم بشكل كلي أو جزئي أو إشاري ، مستعيناً بكتاب (صحيفة المهدي) لتبيان إنّ الإمام لم يترك آية قرآنية وردت تحمل صيغة الدعاء أو التوسل بالله إلا وأوردها في دعائه ، وهذه دلالة معرفة الإمام بالقرآن ، بل هو القرآن الناطق ، ومعرفته بأقرب السبل لاستجابة الدعاء.

The summary

During the educational career , any creative may get a huge number of vocabularies that enhance his / her ability in writing a specific text . because any language presents the general common a spect among the speakers , there will be an interference among the texts of it`s speakers and here exactly we may find the intertextuality , so we find the imam ( may allah his appearanc ) has recalled the quranic text in a large number of his dua`as (calls) , that is why this thes is has showed the amount of intertextuality between the dua`as and the quranic texts totally or partially or ever in reference with the guidance of (AL-mehdi paper) to show that the imam does not leave any quranic text or verse that include the idea of dua`a without implying it in his dua`a . This is the evidence of the imam`m knowledge in quran , he is surely the spoken quran , and his knowledge of the shortest ways to fulfill the dua`a.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على الهادي الأمين سيد الخلق أجمعين وخاتم رسل رب العلمين محمدٍ وعلى أهلِ بيتهِ الطيبين الطاهرين الهداة الميامين لا سيّما الإمام المبين الحجة القائم المنتظر المهدي (عجل الله فرجه الشريف).

يعدّ الكلام المشترك اللغوي بين أفراد اللغة الواحدة، وهذا المشترك يتداوله أفراد المجتمع الواحد ، لكونه متاحاً للجميع ، وليس حكراً على جهة أو فئة أو مجموعة معينة من أفراد ذلك المجتمع، ما يجعل أفراد المجتمع تكرر الألفاظ نفسها حتى يفهم بعضهم بعضاً من جهة، وبسبب محدودية اللغة من جهة أخرى ، قال الإمام علي (عليه السلام) : ((لولا أنّ الكلام يعاد لنفد))[1] ، وفي النتيجة نجد أنّ الألفاظ التي يستعملها هذا الفرد هي التي يستعملها ذلك الفرد من أفراد اللغة الواحدة نفسها ؛ لذا استعمل الإمام (عليه السلام) عبارة (الكلام) بوصفه النتاج الفردي للشخص، ولم يستعمل لفظة (اللغة)؛ لأنها المشترك العام الذي يدخل تحته أبناء اللغة الواحدة ، فالمبدع أثناء مسيرته الثقافية حصل على مجموعة كثيرة من النصوص، جمعت في ذهنه مكوّنة لديه حصيلة لغويّة وثقافيّة يستفيد منها في كتابة نصّ معيّن ، فلا يمكن للفرد أن يكتب من فراغ ، من دون أنْ يكونَ له خزين لغوي وثقافي وعلمي، خاصّة إذا علمنا أنّ الكلام الذي يتحدّث به النّاس هو مفهوم قبلي جاء من التعلم والتدرب، فيقوم الكاتب باستدعاء هذا الخزين المعرفي واللغوي عند كتابة نص معين، والاستعانة بنصوص من سبقوه من الكتاب، وهذا ما يعبر عنه حديثاً (بالتناص) .

واستعمال المفردات ذاتها دفع المبدعين إلى الاستعانة بنصوص عالية لتقوية الأثر ، وهذا ما عمد إليه الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في دعائه إذ استدعى النص القرآني في كثير من أدعيته ، وهنا جاء البحث لتبيان التناص القرآني في أدعية الإمام ولتسليط الضوء على الأثر القرآني في هذا الدعاء الثرّ ، خاصة إذا علمنا إن الإمام (عج) يمثل عدل القرآن ، بل هو القرآن الناطق .

أمّا المنهجية المعتمدة فكانت استقراء النصوص الدُّعائية وشرحها ثمَّ ذكر النصّ القرآني المقتبس في هذه الأدعية، فجاء البحث على تمهيد ومبحثين ، فكان المبحث الأول تحت عنوان (التناص الإقتباسي) وأنواعه ، والمبحث الثاني بعنوان (التناص الإشاري)، وفي التمهيد بيّن الباحث تعريف التناص في اللغة والإصطلاح ، والتعريف بـ(صحيفة المهدي) التي استعنت بها في تتبع أدعية الإمام (عجل الله فرجه)، وقد استقى البحث مادته العلمية من مصادر التراث العربي والمراجع الحديثة .

وأود الأشارة إلى أنّ أهم الدراسات المشابه والقريبة من هذه الدراسة هي :

١ـ (الأقتباس القرآني في أدعية الصحيفة السجادية ـ خصائصه ووظائفه) للدكتورة (خولة مهدي شاكر الجراح) جامعة الكوفة ـ كلية الفقه .

٢ـ الأقتباس القرآني في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) للدكتور (محمد ياسين الشكري) جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات .

وإن شاء الله أوفق في تقديم المادة المرجوة ، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي، ومن الله العون والتوفيق والسداد .

التمهيد :

قبل الخوض بالبحث والولوج في ثناياه ؛ لابد من معرفة معنى التناص في اللغة والاصطلاح ، فإذا رجعنا إلى مادة (نصّ) نجدها ((نصّ الرجل نصاً إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده ، ونصّ كل شيء منتهاه ، وقيل نصصت الرجل إذا استقصيت ما عنده))[٢] ، وجاء التناص بمعنى: ((انتصّ الرجلُ انقبضَ وتناصَّ القومُ ازدحموا))[٣].

فمن معنى الاستقصاء والازدحام نستطيع أن نقول إنّ التناص يعني استقصاء ما عند الآخرين من نصوص وتداخلها وازدحامها داخل النص الواحد مكونة وحدة واحدة غير ناشزة ، وهذه النصوص تأتي من الخزين الثقافي والمعرفي عند المبدع يستدعيها عند كتابة النص .

التناص في الإصطلاح جاءت لفظة التناص من المصطلح الفرنسي : (Intertextualite) الذي يعني (التبادل الفني)، وترجم إلى العربية بـ(التناص) الذي يعني : تعالق النصوص ببعضها عند الكاتب طلباً لتقوية الأثر [٤].

ظهر هذا المصطلح لأول مرة عند (جوليا كرستيفا) ــ بإيحاء من باختين ــ لأن أعماله وأفكاره كانت المنطلق الذي انطلقت منه لتكوين مصطلح (التناص) الذي استعملته في ستينات القرن الماضي بعد نشر دراستها (ثورة اللغة الشعرية) ؛ وعندها عرّفت التناص بأنه : ((تقاطع نصوص ، ووحدات من نصوص، في نصّ أو نصوص أخرى ، فهو لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، فكلّ نصّ يستقطب ما لا يحصى من النصوص التي يعيدها عن طريق التحويل والنفي أو الهدم وإعادة البناء))[٥].

فكل كاتب أو مبدع يحصل أثناء مسيرته الثقافية على مجموعة هائلة من النصوص تجمع في ذهنه مكونة عنده خزيناً لغوياً ومعرفياً يستفيد منه في كتابته للنص ، فلا يمكن لأيّ كاتب أو أديب أن يكتب من فراغ؛ خاصة إذا علمنا أن الكلام الذي يتحدث به الناس جاء من التعلم والتدرب ، وهذا ما أشار إليه (أبو هلال العسكري ــ ت ٣٩٥هـ) إذ قال : (((لولا أنّ القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقته أن يقول ؛ وإنما ينطق الطفل بعد سماعه من الآخرين))[٦]، فنلاحظ أنّ العملية عملية إعادة استعمال للألفاظ والتراكيب بشكل عفوي أو قصدي ، فالألفاظ المستعملة اليوم هي ذاتها كانت مستعملة بالأمس لأنّ اللغة هي اللغة نفسها ؛ لهذا يقول (أبو هلال العسكري) ــ أيضاً ــ :((ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدّمهم والصب على قوالب من سبقهم ...))[٧] ، وهذا هو التناص .

أنواع التناص :

يرى الباحثون أنّ التناصّ على أربعة أنواع، هي:[٨]

١ـ التناصّ الخارجي: يراد به تناص المبدع مع مقولات سابقة له ، فلسفية أو تاريخية أو دينية ... ونحو ذلك .

٢ـ التناصّ المرحلي: يراد به تناصّ المبدع مع مقولات تنتمي لجيل المبدع ومرحلته الزمنية .

٣ـ التناصّ الذاتي: هو إعادة المبدع نفسه في نصوص لاحقة لنصوص سابقة .

٤ـ التناصّ الإيقاعي: يراد به الآثار التي يكتسبها نصّ شعري من نصّ شعري آخر على مستوى الإيقاع والوزن الشعري .

والبحث يختص بالنوع الأول ــ إن شاء الله ــ المتمثل بالتناص الخارجي ؛ كونه يهتم بمقدار التناص القرآني في دعاء الإمام (عجل الله فرجه) من دون الأنواع الأخرى للتناص ؛ لأنّ النص القرآني نصٌ خارجيٌ عن الدعاء يستدعيه الداعي عند دعائه .

آليات التناص:

أمّا آليات التناص والتي تعني الكيفية التي يكون فيها التناص من نصوص أخرى فتتلخص في ثلاث آليات، هي:

أ ـ الاجترار: يعني أخذ النص كاملاً من نص سابق .

ب ـ الحوار: الذي يعني أخذ جزء من نص سابق .

ج ـ الامتصاص: يعني أخذ الفكرة من نص سابق .

وقد توجه أغلب الكتاب والنقاد العرب إلى تقسيم آخر قريب من هذا التقسيم لكنّه أكثر مواءمة مع النصوص العربية هو[٩] :

١ـ التناصّ الاقتباسي : وهو نوعان :

أ ــ التناصّ الاقتباسي الكلّي: هو أن يعمد المبدع إلى نصّ مستقل ومتكامل بذاته كأنْ يكون بيتاً شعريّاً أو شطر بيت أو جملة نثريّة ، فيقتطعه من سياقه السابق ، ويضعه في نصّه اللاحق على حاله ، من دون أن يغيّر في بنيته الأصلية لا بزيادة ولا نقصان .

ب ــ التناص الاقتباسي الجزئي: هو أن يعمد المبدع إلى نصّ مستقل ومتكامل بذاته فيقتطعه من سياقه ويضعه في نصّ لاحق ، بعد أن يغير في بنيته الأصلية .

٢ـ التناص الإشاري: هو أن يستحضر المبدع نصّاً عن طريق الإشارة المركّزة إذ تغدو هذه الإشارة بمثابة الاستحضار الكامل لتلك النصوص من دون أن يوجد حضور لفظي كامل .

٣ـ التناص الامتصاصي: هو أن يستلهم المبدع مضمون نصّ سابق أو مغزاه أو فكرته، ويقوم بإعادة صياغة هذا المغزى أو المضمون أو الفكرة من جديد بعد امتصاصه وتشرّبه من دون أن يكون في النصّ الجديد حضور لفظي أو ذكر صريح للنصّ السابق .

وهذا التقسيم هو الذي يعتمده الباحث مع استبعاد النوع الثالث (التناص الامتصاصي) وذلك لأنّ أدعية الإمام (عجل الله فرجه) كلها مضامين اسلامية أشربت فيها المضامين القرآنية ؛ لأن الإمام هو القرآن الناطق وفي النتيجة إذا اعتمدنا (التناص الأمتصاصي) نجد الفكر القرآني يتجلى بأبهى صوره في أدعيته وأحاديثه ، وفي هذه الحال نضطر إلى ذكر كل أدعيته (عجل الله فرجه) .

صحيفة المهدي :

لابد من التعريف بـ(صحيفة المهدي) التي استقى البحث منها مادة الدعاء الخاص بالإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وهي كتاب من تأليف (الشيخ عيسى الأهري) وهي طبعة عربية ومترجمة إلى الفارسية ، جمعت فيه أدعية الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، تقع على (٢٨٨) صفحة ، وهي (طبعة قم المقدسة ـ مؤسسة الرسالة للنشر ـ عام ١٣٨٧هـ) أجازها (آية الله العظمى المرعشي النجفي)، كما يذكر المؤلف في مقدمة الكتاب أكثر من عشرين عالماً وفقيهاً أجازوا نشر هذه الصحيفة وبخط اليد لا يسع المجال لذكرهم في هذه العجالة المختصرة .

ومن الجدير بالذكر أنّ (الصحيفة المهدوية) من تأليف (الشيخ إبراهيم بن المحسن الكاشاني) وتقع على (٤٧٩) صفحة (طبعة دار الحوراء ـ بيروت ـ لبنان)، وهذه أوسع من (صحيفة المهدي)؛ لأنها تضم فضلاً عن الأدعية (زيارات الإمام المهدي وتوقيعاته) (عجل الله فرجه)؛ لذا أعرضت عن (الصحيفة المهدوية) واكتفيت بـ(صحيفة المهدي)؛ لأنها مختصة بالدعاء كما أسلفنا.

المبحث الأول : التناص الاقتباسي :

هو أن يعمد المبدع إلى نص كامل بذاته فيقتطعه من سياقه السابق ليضعه في سياقه اللاحق ، وهذا ما نلمسه من المعنى اللغوي للاقتباس ((القبس شعلة من نار تقتبسا من معظم النار ، واقتباسها الأخذ منها))[١٠] .

أمّا في الاصطلاح ((فجمهور البلاغيين يحدونه على أنّه تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه ، بأنْ لا يقال فيه قال الله أو نحوه ، فإنّ ذلك حينئذ لا يكون اقتباساً))[١١] . من هذا نلاحظ أنّ مصطلح

الاقتباس يختص بالأخذ من النصوص القرآنية التي دأب العلماء والمفكرون والأدباء على الأخذ منها بوصفها نصاً عالياً يستشهدون به في نصوصهم .

ويقسم التناص القرآني على نوعين :

١ـ التناص الاقتباسي الكلي: هو أن يعمد المبدع إلى نص قرآني مستقل ومتكامل بذاته فيقتطعه من سياقه السابق ويضعه في نصه الاحق على حاله ، من دون تغيير في بنيته الأصلية لا بزيادة ولا نقصان ولا بتقديم ولا تأخير .[١٢]

وقد ورد هذا النوع من الاقتباس القرآني في أدعية الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في موارد عديدة منها قوله في دعاء (العلوي المصري) : ((إلهي وأسألك اللهم بالإسم الذي سألك به عبدك ونبيك سليمان بن داوود (عليهما السلام) إذ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لإحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجبت له دعاءه وأطعت له الخلق وحملته على الريح وعلمته منطق الطير ووسخرت له الشياطين من كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد))[١٣] ، نجد الإمام قد توسل بما توسل به نبي الله سليمان (عليه السلام) عن طريق استدعاء النص القرآني لما يحمله من مضامين بلاغية عالية ، قال تعالى : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨)}[١٤] ، فالإمام دعا بلسان الأنبياء، ولا ريب أنه لا يوجد في الكون دعاء أفضل مما حمله الذكر الكريم عن لسان الأنبياء، لذا جاءت الاستجابة سريعة بما يحمله هذا الدعاء من روح ملكوتية فيها الاسم الأعظم الذي أشار إليه الإمام (عجل الله فرجه) في بداية هذا المقطع الدعائي عندما قال: ((إلهي وأسألك اللهم بالإسم الذي سألك به عبدك ونبيك سليمان بن داوود (عليهما السلام)) ، وهذه مضامين لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وهم الأنبياء وحملة الرسالة من آل محمد (عليهم السلام) .

وفي مورد آخرمن الدعاء نفسه يقول (عجل الله فرجه الشريف) : ((وأسألك بسمك الذي دعاك به أيوب .... رب إني مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين فاستجبتَ له دعاءه وكشفت ضرّه وكنت منه قريب))[١٥]، فقد اقتبس الإمام (عجل الله فرجه) الآية القرآنية : { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) }[١٦] ، عمد الإمام (عجل الله فرجه) إلى توضيف الطاقة اللغوية الموجودة في النص القرآني توضيفاً دقيقاً، فدعا بكلمات أوردها الله (سبحانه وتعالى) على لسان نبيه أيوب فكان باباً لسرعة الاستجابة ورفع البلاء، ولا ريب أنّ هذه

الأدعية هي دروس لنا، تعلمنا كيفية الدعاء وهدايتنا لأقرب السبل للوصول إلى الاستجابة السريع من قبل الله (سبحانه وتعالى) وقضاء حوائجنا وتيسير أمورنا؛ لذا يستمر الإمام (عجل الله فرجه) في دعاء(العلوي المصري) بنفْسِ نَفَسِ القرآن الكريم إذ كان يدعو بما دعا به أنبياء الله (عليهم السلام) فاستجاب الله دعاءهم وقضى حوئجهم مقتبساً ذات الآيات الكريمة التي كانت على ألسنتهم بدءاً من نبي الله آدم (عليه السلام) وإدريس ونوح وصالح وما استشهدنا به من دعاء سليمان وأيوب ، وحتى غير الأنبياء مثل مريم بنت عمران وزوجة فرعون وآصف بن برخيا وغيرهم وكل من دعا في القرآن الكريم متأثراً بالمثل القرآني مقتبساً من آياته راجياً الاستجابة ؛ لأنّ الله في هذه الموارد القرآنية لم يردّ داعياً دعاه ، وهو بذلك توجه إلى أقرب الطرق للاستجابة عن طريق استدعاء النص القرآني وجعله بين يدي حاجاته .

ونجد التناص الأقتباسي في قوله (عجّ الله فرجه) : ((. . . يارب إني مغلوب فانتصر ، يارب إني مغلوب فانتصر ، يارب إني مغلوب فانتصر))[١٧]، إذ اقتبس الآية القرآنية { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ}[١٨] ، وهذا الدعاء كان على لسان نوح (عليه السلام) عندما كذبه قومه وضاق بهم ذرعاً فجاءت الإجابة سريعة من الله فقال عز وجل :{ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) } [١٩] ، ودلالة سرعة الاستجابة (الفاء) في عبارة (ففتحنا) التي تدل على الترتيب والتعقيب ، فكانت الاستجابة سريعة بعد الدعاء ، وقد كررها الإمام (عجل الله فرجه) ثلاث مرات مناجاةً منه لخالقه وطلباً للإجابة .

٢ـ التناص الأقتباسي الجزئي: هو أن يعمد المبدع إلى نصّ مستقل ومتكامل بذاته فيقتطعه من سياقه ويضعه في نصّ لاحق ، بعد أن يغير في بنيته الأصلية ، فيكون جزءاً من سياق النص[٢٠]، وقد عمد الإمام (عجل الله فرجه) إلى هذا النوع من الأقتباس في أكثر من موضع ، من ذلك قوله : ((إلهي وأسألك باسمك الذي دعاك به عبدك ونبيك عيسى بن مريم (عليهما السلام) إذ أيدته بروح القدس وأنطقته في المهد فأحيا به الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذنك وخلق من الطين كهيئة الطير فصار طائراً بإذنك))[٢١]، فنلاحظ أنّ الإمام (عجل الله فرجه) قد اقتبس من النص القرآني بشكل غير تام بل بشكل جزئي من قوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ

الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠)}[٢٢]، نجد الإمام قد غير في بنية النص الأصلية وذلك عن طريق تغيير الصيغة ؛ ففي الآية الكريمة نلاحظ أنّ الباري (عز وجل) استعمل صيغة المخاطب في حديثه مع عيسى (عليه السلام) في الألفاظ (أيدتك ، تكلم ، تخلق ، تبرىء ، تخرج)، أمّا في الدعاء فقد استعمل الإمام أسلوب الحديث عن الغائب في ألفاظ (أيده ، أنطقته ، أحيا ، أبرأَ ، خلق) وفي النتيجة توسلُ الإمامِ بما قاله الله (عز وجل) لعيسى جعله يغير في بنية الخطاب فأصبح التناص الأقتباسي تناصاً جزئياً وذلك لأنه غيّر في بنية النص ، فضلاً عن أنه اجتزأ من الآية ولم يوردها تامة .

ونجد التناص الأقتباسي الجزئي في قول الإمام (عجل الله فرجه) : ((ربّ صل على محمد وآل محمد ، وافتح لي من نصرك أبواب السماء بماء منهمر ، وفجر لي من عونك عيوناً ليلتقي ماء فَرَجِي على أمر قد قدر ، واحملني يارب من كفايتك على ذات ألواح ودسر))[٢٣] نلاحظ الإمام قد اقتبس دعاءه وبشكل جزئي من قوله تعالى : { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) }[٢٤]، فالإمام (عجل الله فرجه) وظّف الطاقة القرآنية توظيفاً يتناسب وروح الدعاء فجعل دعاءه مطرزاً بعبارات قرآنية لا على إنها من القرآن ؛ بل هو دعاء يدعو به طلباً للفرج ـ وهو ما دعا به نوح ـ فكانت الاستجابة حاضرة ، وكأنه يخاطب الله في دعائه فيطلب منه أن يستجيب له كما استجاب لنوح (عليه السلام) .

ونجد التناص الاقتباس الجزئي في دعاء الإمام (عجل الله فرجه) الذي يدعى به بعد صلاة الصبح في يوم الفطر فقال : ((ولا عز ولا منعة ولا سلطان إلا لله الواحد القهار العزيز الجبار))[٢٥]، فعبارة (الله الواحد القهار) عبارة قرآنية وردت في كتاب الله العزيز ست مرات[٢٦]، وعبارة العزيز الجبار وردت في كتاب الله مرة واحدة في قوله تعالى : {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)}[٢٧]، فهذه العبارات مقتبسة من نصوص قرآنية اقتباساً جزئياً قد اوردها الإمام في دعائه لا على أنها من القرآن، بل حتى يعيش الداعي في أجواء مشحونة بالذكر القرآني مستلهماً منه قوة البناء وجمالية التركيب فيه .

وورد هذا النوع من التناص الجزئي في عبارة : ((الذي يقول للشيء كن فيكون))[٢٨]، فهذا التعبير (كن فيكون) هو جزء من آية وردت في القرآن الكريم ثماني مرات[٢٩] ، في الآيات التي تبين عظمة الله

(عز وجل) وقدرته في تدبير الأمور ؛ لذا استدعا الإمام (عجل الله فرجه) هذا التعبير القرآني إشارة إلى القدرة الإلهية، ومناداةً لله بقدرته في إنجاز وعده لعباده إذ قال : ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) ، ليبشر الداعي بأنّ الإجابة قريبة .

المبحث الثاني ــ التناص الإشاري: هو أن يستحضر المبدع نصاً شعرياً أو نثرياً أو دينياً ، عن طريق الإشارة المركزة ، إذ تغدو هذه الإشارة استحضاراً لتلك النصوص ، من دون أن يكون هناك حضور لفظي كامل في النصوص اللاحقة ، و يعتمد هذا التناصّ غالباً على لفظة واحدة أو اثنين [٣٠].

ونجد هذا النوع من التناص في أدعية الإمام (عجل الله فرجه) في قوله : ((. . . وابرأ به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين . . . . حتى لا تدع منهم ديّاراً ولا تبقي لهم آثاراً)) [٣١] ، فلفظة (ديّارا) إشارة مركزة إلى قوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا}[٣٢]، وفي النتيجة هي دعاء على الكافرين بمعنى لا تبقي منهم أحد[٣٣]، وهو دعاء شديد أورده الله في القرآن الكريم على لسان نبي الله (نوح) يحمل دلالة اليأس من استجابة الكافرين أو إيمانهم ؛ لأنّ الجميع يعلم أنّ نوح (عليه السلام) قد عاش في قومه زمناً طويلاً يدعوهم إلى طاعة الله فلم يستجب له منهم إلا قليل ، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله (عز وجل) : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)}[٣٤] ، فهذه اللفظة القرآنية أشارت إلى مضامين عالية وكأنها فتحت نافذة على القرآن الكريم كي يرى الداعي مآل من لا يسمع صوت الحق وهو الخسران العظيم .

وهذا النوع من التناص نجده في قول الإمام (عجل الله فرجه) في دعائه (لقضاء الحوائج) إذ قال : ((اللهم إن كنتُ قد عصيتُك فإنّي قد أطعتك في أحبِ الأشياءِ إليكَ وهو الإيمانُ بكَ لم أتخذ لكَ ولداً ولم أدعُ لكَ شريكاً))[٣٥]، فقد أشار في عبارة (لم أتخذ لك ولد) إلى الذين قالوا إنّ لله ولداً (جل الله عن ذلك) ويقصد بهم المسيح ، فقد عبر القرآن الكريم عن هذا بقوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}[٣٦]، فقد أشار الإمام عن طريق هذه المفردة إلى الذنب العظيم الذي اقترفوه والعذاب العظيم الذي ينتظرهم ؛ فقال الله (عز وجل) بعد هذه الآية : { لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)}[٣٧]، فالتناص الإشاري يحمل في ثناياه كمية مظغوطة من المفاهيم التي يمكن أن نستشفها من هذا النوع من التناص .

ونجد هذا النوع من التناص في دعاء (العبرات) إ ذ قال (عجل الله فرجه) : ((إلهي لا ركن لي أشدّ منك ، فآوي إلى ركن شديد ، ولا قول لي أسدّ من دعائك فأستظهرك بقول سديد))[٣٨]، وهذه العبارة تشير إلى ما جاء في القرآن الكريم على لسان نبي الله لوط (عليه السلام) حين قال : {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ }[٣٩]، فمن هذه الآية يتبين مقدار الضيق الذي يعاني منه الإمام المهدي (عجل الله فرجه) متمثلاً بما عاناه نبي الله لوط (عليه السلام) عندما جاء قومه يهرعون إليه يبغون السوء ، حتى أنّ نبي الله لوط قال : {وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}[٤٠]، فكأنّ الفرجُ قريباً ، فسرعان ما تم انقاذ لوط وأهله ونزل العذاب بقومه بعد أن ردد هذه العبارة، قال تعالى : {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)}[٤١]، فأشار الإمام إلى كل تلك المضامين بهذه العبارة المضغوطة ليبين لنا أنّ الأمور كلما اشتدت فإن فرج الله قريب .

وأخيراً أود الإشارة إلى إنّ عبارة (أرحم الراحمين) التي جاءت متناثرة في أدعية الإمام (عجل الله فرجه) هي تناص أشاري لما ورد في القرآن الكريم[٤٢] ، لأنه تعبير قرآني خاص بالله يبين مقدار رحمته ، فلا أرحم من الله على العبد ، وهنا الإمام (عجل الله فرجه) يشعر المتلقي بقرب الرحمة الإلهية من الداعي ، فرحمته سبقت غضبه.

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة في ثنايا دعاء الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وعلاقته بالقرآن الكريم توصل البحث إلى مجموعة من النتائج ، أهمها :

١ـ تكمن جمالية التناص في قدرة الأديب على تذويب النصوص التي حصل عليها خلال حياته، والتي كوّنت عنده حصيلة فكرية ولغوية ، تذويباً يؤدّي إلى إعطائها بُعداً فنياً متوازناً في النصّ الجديد متجانسة مع السياق غير ناشزة عنه، وهذا ما عمله الإمام (عجل الله فرجه) عند استدعائه للنص القرآني .

٢ـ يعد النص القرآني نصاً خاصاً في بنائه، فإذا وضع في أي نص من كلام البشر نراه متوهجاً لمّاعا يجذب المتلقي إليه، وهذا ما لمسناه في التناص الأقتباس الكلي، فكان النص القراني بارزاً ظاهراً يضفي جمالية بلاغية على الدعاء، فمهما ارتفع النسق التركيبي للدعاء، وتفرّد المبدع في ذلك يبقى النص القرآني لايباريه نصٌ ولا يدانيه لفظٌ .

٣ـ وظف الإمام (عجل الله فرجه) الدعاء الوارد في القرآن الكريم توظيفاً دقيقاً مستثمراً فرادة الصيغة التركيبية وأثرها في استجابة الدعاء، فدعا بما دعا به القرآن على لسان الأنبياء والصالحين الذين استجاب الله دعاءهم فكان لهم ما أرادوا .

٤ـ دعا الإمام بكل آية وردت في القرآن تحمل صيغة الدعاء أو التوسل بالله، وهذه دلالة معرفة الإمام بالقرآن؛ بل هو القرآن الناطق، ومعرفته بأقرب السبل لاستجابة الدعاء؛ فعمل الإمام (عليه السلام) على ربط المتلقي بالقرآن الكريم والإفادة من التراكيب الإعجازية القرآنية في الدعاء جاعلاً منها نسيجاً مذهباً يطرّز به دعاءه، أضف إلى ذلك الطاقة اللغوية المكتنزة في هذه التراكيب التي وظّفها المبدع، وما لها من أثر فعّال في قبول الدعاء عند الله (عز وجل)، بوصف الإمام أعرف بالقرآن من غيره .

٥ـ وظف الإمام (عجل الله فرجه) التناص الإشاري في أدعيته، فجاءت مطرّزة بألفاظ القرآن الكريم وما يحمل من جمالية وقوة في الصوت والدلالة بهدف تطريز دعائه جماليّا لما للنصّ القرآني من وظيفة فاعلة في إحداث أجواء جماليّة تبعث على الارتياح؛ إذ تداعب عاطفة المتلقي بما تحمله من هالة قدسية وهيبة فنية فضلاً عن المعنى الكبير والمضغوط في هذه الألفاظ القرآنية التي تحيل إلى معانٍ قرآنية كبيرة .

الهوامش:

(١) كتاب الصناعتين : ١٩٦

(٢) لسان العرب : ٧/ ٩٧ مادة نصص

(٣) تاج العروس :١٠ / ٢١٣ مادة (نصص)

(٤) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية

(٥) ينظر : التناصّ التراثي في الشعر العربي المعاصر : ١٥

(٦) كتاب الصناعتين : ١٩٦

(٧) المصدر نفسه .

(٨) ينظر : التناص في شعر الرواد : ٦١

(٩) ينظر : التناص بين النظرية والتطبيق ـ شعر لبياتي نموذجاً : ١٧

(١٠) لسان العرب : ٦ / ١٦٧ باب (قبس)

(١١) أنوار الربيع في أنواع البديع : ٢ / ٢١٧

(١٢) التناص بين النظرية والتطبيق ـ شعر البياتي نموذجاً : ١٦

(١٣) صحيفة المهدي : دعاء العلوي المصري : ٦٠
(١٤) سورة ص : ٣٥ ـ ٣٨
(١٥) صحيفة المهدي : ٦٢
(١٦) سورة الأنبياء : ٨٣ ـ ٨٤
(١٧) صحيفة المهدي : ١٩٦
(١٨) سورة القمر : ١٠
(١٩) سورة القمر : ١١ـ ١٣
(٢٠) التناص بين النظرية والتطبيق ـ شعر البياتي نموذجاً : ١٦
(٢١) صحيفة المهدي : ٦٣
(٢٢) سورة المائدة : ١١٠
(٢٣) صحيفة المهدي : ١٩٦
(٢٤) سورة القمر :١٠ ــ ١٣
(٢٥) صحيفة المهدي : ٢١٤
(٢٦) يوسف : ٣٩ ، الرعد : ١٦ ، أبراهيم : ٤٨ ، ص : ٦٥ ، الزمر : ٤ ، غافر : ١٦
(٢٧) الحشر : ٢٣
(٢٨) صحيفة المهدي : ٢١٨
(٢٩) البقرة : ١١٧ ، آل عمران : ٤٧ ، ٥٩ ، الأنعام : ٧٣ ، النحل : ٤٠ ، مريم : ٣٥ ، يس : ٨٢ ، غافر : ٦٨
(٣٠) ينظر : التناص بين النظرية والتطبيق ـ شعر لبياتي نموذجاً : ١٧
(٣١) صحيفة المهدي : ٣٦
(٣٢) سورة نوح : ٢٦
(٣٣) معاني القرآن للزجاج : ٥ / ٢٣١
(٣٤) سورة العنكبوت : ١٤
(٣٥)() صحيفة المهدي : ٩٦
(٣٦) سورة مريم : ٨٨
(٣٧) سورة مريم : ٨٩ ـ ٩٨
(٣٨)() صحيفة المهدي :٢١٠
(٣٩)() سورة هود : ٨٠
(٤٠) سورة هود : ٧٧
(٤١) سورة هود : ٨٠ ـ ٨١
(٤٢) الأعراف : ١٥١ ، يوسف : ٦٤ ـ ٩٢ ، الأنبياء : ٨٣

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أنوار الربيع في أنواع البديع : ابن معصوم المدني ، تحقيق : شاكر مهدي شاكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١ ، ١٩٦٨م .
- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق : نوّاف الجرّاح ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م .
- التناص بين النظرية والتطبيق ــ شعر البياتي نموذجاً : د. أحمد طعمة حلبي ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠٠٣ .
- التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر : عصام حفظ الله واصل ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط١ ، ٢٠١١ م .
- التناص في شعر الروّاد : أحمد ناهم ، دار الواثق ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- صحيفة المهدي : الشيخ عيسى الأهري ، مؤسسة الرسالة للنشر ، قم المقدسة ، ١٣٨٧هـ .
- كتاب الصناعتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت ، ١٤١٩هـ
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن على بن منظور (ت٧١١هـ) ، مراجعة وتدقيق : د. يوسف البقاعي ، إبراهيم شمس الدين ، نضال علي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- معاني القرآن وإعرابه : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، الناشر: عالم الكتب – بيروت ، ط١ ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصر : د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م.